دور فرانتز فانون في انشاء الجبهة الجنوبية

المنطقة الجنوبية الصحراوية في الثورة التحريرية الجزائرية 1960-1962

أ.كديده محمد مبارك
المركز الجامعي تامنغست (الجزائر)

Abstract :

The research is dealing with the role of Frantz Fanon in establishment of the southern front desert during the Algerian revolution the research also defining Frantz Fanon his effort to activate the African dimension of the Algerian revolution during the period when Algeria needed to activate this dimension moreover this study highlights the plan which Frantz Fanon prepared to reflect the fieldwork of the southern front Besides , The research focuses on the efforts that Fanon made to identity himself from one hand , and to highlight the importance of front establishment for the revolution from the other hand .

الملخص :

يتحدث البحث عن دور فرانز فانون في انشاء الجبهة الجنوبية الصحراوية خلال الثورة التحريرية أو المنطقة الجنوبية الصحراوية كما تشير الوثائق ، و التي تعمل انطلاقا من الحدود الجنوبية للجزائر ، و يعرف بشخصية فانون و مجهوداته في بعث البعد الافريقي للثورة الجزائرية في فترة كانت تحتاج فيها الجزائر لتفعيل هذا البعد ، كما يسلط الضوء على الخطة التي أعدها فرانز فانون لتجسيد عمل هذه الجبهة ميدانيا ، كما يسلط الضوء على المجهودات التي قام بها الرجل في سبيل تجسيده بنفسه ، و كذلك يرز أهمية انشاء هذه الجبهة بالنسبة للثورة .

كانت الثورة الجزائرية مسرحا لمجموعة من الأحداث ذات أبعاد متعددة محلية و اقليمية و قارية ، و بحجم الحدث كان التأثير ، و بحجم الحدث كانت القيمة و الصيت ، فقد شارك في الثورة الجزائرية و دعمها عدد من المفكرين من مختلف الجنسيات و الأصول ، و لعل تصفح كتب و مصادر تاريخ الثورة الجزائرية قد يوقفنا عند عدد من أسماء الشخصيات و المفكرين التي دعمت أو ساندت و ساهمت في الثورة الجزائرية و من بينها شخصية المفكر فرانز فانون هذه الشخصية التي كتبها عنها الكثير حول أفكارها و ول قناعاتها و حول نشاطها و مؤلفاتها ، و ما يجلب الانتباه هو أن هذا الرجل الذي اجتهد غيرنا في دراسة مجهوده الفكري و مساره و تتبع آثاره بينما يعتبر هذا الرجل مشاركا في ثورة التحرير الجزائرية و كلف بعدة مهام منذ التحاقه بها مزال يحتاج إلى تسليط الضوء على العديد من زوايا عمله في بحوث علمية و أكاديمية .

و بالنسبة للجزائر فإن هذا الرجل الذي شارك في ثورتها لم يكتب عنه معاصروه الكثير إذا ما استثنينا ما كتبه " محمد الميلي" عن الرجل و الذي كان كتابا قيما حمل عنوان " فرانز فانون و الثورة الجزائرية "[1] ، و الميلي كان عارفا جيدا بما يجري على مستوى العلاقات المغاربية و الافريقية خلال الثورة التحريرية كيف لا و الرجل عمل في جريدة المجاهد ، و لأن فانون عمل على استفادة الثورة الجزائرية من بعدها الافريقي ، و هذا ما استحق الدراسة بعيدا عن التفسيرات الإثنية و الايديولوجية التي يحاول البعض التركيز عليها تركيزا يخل بتوازن الفكرة ،و وقفت عند الإشكالية التي ظل يتناقلها البعض حول من صاحب فكرة انشاء الجبهة الجنوبية بين من ينسبها إلى العقيد هواري بومدين الذي استأثر بالفكرة و بين من يرى أن فانون هو صاحب الفكرة ، و هو ما سنحاول أن نجيب عليه في هذه الدراسة ليس من

باب الجدل و لكن من باب تتبع الأحداث التاريخية و ابراز جانب منها و الاجابة على سؤال ما دور فانون في مشروع إنشاء المنطقة الجنوبية الصحراوية ؟

و قبل الخوض في هذا يجب الاشارة الى مجموعة من المواضيع منها قضية المصطلح حيث يتم تناول موضوع الجبهة الجنوبية أو المنطقة الجنوبية الصحراوية في بعض المراجع و الكتب بإسم جبهة المالي و مصطلح خاطئ يتنافى و التسمية الموجودة في الوثائق التي وقعت تحت أيدينا إلى حد كتابة هذه الأسطر سنوسع بها دراسة هذا الموضوع مستقبلا، هذا من جهة و من جهة أخرى ان مشروع فتح الجبهة الجنوبية ظهر بداية الستينات لهذا استعملنا المصطلح الصحيح الوارد في الوثائق لأن الوثيقة تعتبر أساس المادة المصدرية في الكتابات و الابحاث التاريخية ، و أما المصطلحات التي يتم تداولها أو تم نقلها من بعض المذكرات أو من بعض الشهادات لا تضبط المصطلح بقدر ما تضبطه الوثيقة أما ما يتم أخذه من تلك المذكرات و الشهادات فيشير إلى المعلومات حول تلك القضية و يفهم منه أنها هي المقصودة .

إننا اليوم بحاجة إلى تسليط الضوء على الرجال الذين فكروا أو صنعوا فكرا خاصة ان تعلق هذا الفكر بإبراز ايديولوجية و نمط جديد غير النمط القديم المبني على الخضوع لواقع القوى الكبرى فمهما طال الزمن فإن أفكارهم بحاجة إلأى أن نتمعن فيها علنا نستفيد منها كأمة أو تؤرخ لنمط التفكير في مرحلة من المراحل التاريخية و من بينها مالك بن نبي و الذي آمن بقوة و قدرة الأفارقة و العالم الثالث على تحدي الظرروف و تغيير موقع تأثيرهم و حدد العوائق التي تحول دون تحسين حاله[2]

1) نبذة تاريخية عن حياة فانون : ولد فرانتز فانون في مدينة فور دو فرانس بجزر المارتنيك بتاريخ 20 جويلية 1925م[3] و ترعرع في جو مليء بالتناقضات التي تحللت و تغيرت أما عينه و ساعدت الظروف الميسورة لعائلته برغم من أصولها الافريقية على تعليمه و تدريسه حيث تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ، و مع احتدام نيران الحرب العالمية الثانية التحق فانون بصفوف جيش فرنسا الحرة و قاتل في صفوفه .

نال شهادة البكالوريا و جراء حصوله على وسام جراء اصابته و مشاركته في تحرير فرنسا نال منحة لدراسة الطب في فرنسا ، و توجه إلى ليون أين كان يتابع دراسته في الطب و نظرا لولعه الشديد الأفكار الفلسفية التي تجلب انتباهه فراح ينهم من كتب كيركجارد و هيقل و ماركس و لينين و هيدجر و سارتر ، و إلى جانب دراسته الطب كان يتابع دراسة الفلسفة ما جعل فانون يراكم و يطور فكره دون أن ننسى مجموعة التناقضات التي لاحظها بين المثل و شعارات فرنسا الحضارة ، خاصة أنه بات أكثر احتكاكا بهذا الوسط فقد كان شاهدا على ردة الفعل الفرنسية اتجاه الجزائريين و ما حصل من مجازر في الثامن من ماي 1945م[4]، و لربما لاحظ الفرق بين الأفكار المجردة و الادعاءات المنمقة في بعض المنابر و بين ممارسات الواقع و لربما من قبيل المثال لا التعميم هذه التناقضات هي التي ستكون تراكمات جد صلبة عند فانون تجعله يتحول عن إيمانه بكل ما هو ادعاء فرنسي ، و لأن فانون عمل على نشر و تجسيد أفكاره و هو ما لم يعجب بع من ناهوه أو من حاولوا تفسير فكر الرجل العميق بسطحية أو حاولوا التقليل من شأنه و هو ما سنعود للحديث عنه عندما نتحدث عن أفكاره ، وبعد احتكاكه بمجموعات الأوساط الثقافية الفرنسية راح يبحث عن متنفس و حل للوضعية المتناقضة بين الواقع و بين المثل و خاصة أنه أدرك أن الافريقي المستعمر (بفتح الميم) لا يملك أدنى الحقوق و تمارس عليه كل الممارسات التي تتنافى و الادعاءات و المثل الفرنسية التي كانت تروج أو تدرس فراح الرجل يبحث عن حل و عن الرحيل إلى افريقيا الموطن الأصل ، و هو ما عرضه على سانغور[5] .

ليعود بعدها فانون إلى المارتنيك في زيارة لمسقط رأسه و لكنه عاد بعدها إلى فرنسا ليشتغل في عيادة الدكتور توكسفيل مما سمح له بتطوير قدراته و اكتسابه مهارة العلاج الاجتماعي ، تزوج فانون من فرنسية و لكن رغبته في الالتحاق بالقارة الافريقية مازلت مسعاه فطلب من الدكتور توكسفيل تعيينه في احدى مستشفيات افريقيا لكن الرد كان

بنفس الطريقة إذ لم يرد توكسفيل على طلب فانون[6] ، و الملاحظ أن الكتب التي تتحدث عن هذا الأمر تذكر السكوت عن طلب فانون أو عدم الاجابة عنه و لا تذكر أن الأمر يرفض أو يتم مناقشته مما قد يوحي أن هؤلاء لم يكونوا يرغبون في التحاق فانون بإفريقيا.

لتتحقق رغبة فانون سنة 1953م حين قبل عرضا من الولاية العامة في الجزائر للالتحاق بمستشفى البليدة للأمراض العقلية و الذي كان المستشفى الأول من نوعه في افريقيا و الذي يحمل اسمه اليوم ، و ما كانت الولاية العامة تعلم أنها منحت فانون فرصة أخرى لتعميق أفكاره و تأكيد وجهة نظره إزاء تعامل فرنسا الاحتلال مع المجتمعات المستعمرة (بفتح الميم) ، أين كان فانون على قسم يضم مائة و خمس و ستين (165) أوربيا و مائتين من الجزائريين(200) من المرضى حاول أن يجرب عليهم الأسلوب العلاجي الذي تعلمه عند توكسفيل لكن النتيجة كانت عدم تناسب هذه الطريقة لاختلاف البيئة الاجتماعية للجزائريين و السبب كان الوضعية السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي أوجدها الاحتلال الفرنسي، ليقتنع فانون بعد مدة من الملاحظات و التدقيق في حالات المرضى الجزائريين أن الأسلوب الأنسب هو القطيعة مع هذا الاحتلال[7] .

لينضم فانون سنة 1957م للثورة الجزائرية و بالرغم من أن الرجل الذي داهمه المرض في ريعان شبابه حيث توفي سنة 1961م إلا أن فترة الخمس سنوات التي عملها في اطار الثورة الجزائرية كانت فترة نشاط مكثف للرجل الذي استفادت منه الثورة الجزائرية حيث عمل طبيا و محررا في جريدتي المقاومة و المجاهد لسان حل جبهة التحرير الوطني الجزائري و ممثلا ديبلوماسيا للثورة الجزائرية في عدد من المحافل الافريقية[8] و بعد معاناة طويلة مع المرض ، و بعد رحلة علاجية حاولت فيها الثورة الجزائرية علاجه في الولايات المتحدة الأمريكية توفي الرجل مكافحا للاحتلال الفرنسي في واحدة من أبرز حركات التحرر في افريقيا ، و قد أوصى بأن يدفن في الجزائر أو ينقل إليها جثمانه بعد أن تسترجع الجزائر سيادتها ، و قد حقق الثوار الجزائريون لرفيقهم رغبته و نفذوا وصيته فبرغم الخطوط الشائكة المكهربة و حقول الألغام و كثافة قوات الاحتلال الفرنسي نقل المجاهدون جثمانه في سرية تامة إلى شمال الولاية الثانية ليدفن بولاية الطارف[9] ، مات الرجل مناهضا لفكر دول الاحتلال قال الميلي: **«...في ذات يوم من ربيع 1957 في مكان ما من باريس كان فانون ينتظر تسهيل مروره ليلتحق نهائيا بالثورة الجزائرية و كان ذلك آخر عهده بفرنسا و بيسارها لقد كان مسافرا دون عودة ...»**[10]

2) كتابات فانون و مؤلفاته و فكره : مما سبق ذكره يتضح للقارئ أن مسار حياة فانون كان قصيرا حيث عاش هذا الرجل مدة ست وثلاثين (36) سنة مات شابا إلا أن هذا الرجل كان وفير الانتاج الفكري و الذي حلله الكثيرون كل حسب زاويته و كل حسب هدفه بين مؤيد و معارض أو بين محاول حصر فكر الرجل في زاوية معينة كالاشارة إلى تأثير معين في تفكير الرجل ، متناسين أنه لا يمكننا أن نزيح هذا الأمر لما يتعلق الأمر بدراسة العلوم الانسانية لأن التأثير و التأثر شيء طبيعي في حركة أفكار الانسانية ، و لكن أيضا لا ينبغي أن ننفي أو نغفل نظرية التراكمية التي لا ينتبه إليها البعض ، و قد حصل هذا مع فانون غن تتبعنا مسار حياته فقد راكم مجموعة من المعارف و الملاحظات عن كلا العالمين المحتل الغرب و العالم الثالث أو الغرب و افريقيا و اكتشف أن هناك مسافة بين ادعاءات و أقوال الأول و بين أفعاله و تصرفاته ، و عالم المثل ، إن هذه التراكمية بنت فكرة أساسية لدى فانون آمن بها و عمل عليها و هي تحرير افريقيا من قيود الاحتلال[11].

و قد حملت كتب فانون و كتاباته تراكماته الفكرية التي ترجت إلى عدة لغات من أشهرها بشرة سوداء و أقنعة بيضاء، معذبوا الارض العام الخامس للثورة الجزائرية ، كتابات عن الاغتراب و الحرية ، إنهاء الاستعمار للجنون ن الكتابات النفسية لفانون ، من أجل افريقيا ... و غيرها من الكتب و المقالات ، و كتب الرجل في جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير عدة أعمال فقد عمل فيها بجد يقول الميلي الذي عمل معه فيها **:«... عندما تفرغ فانون تفرغا كليا**

للعمل في صحافة الثورة – و هي الأشهر التي قضاها في تيطوان ضمن هيئة تحرير المجاهد بعيدا عن كل إتصال مع الخارج أو مع المهنة ،و بعيدا عن أسرته التي بقيت في تونس كانت معظم أوقات فانون موزعة بين القراءة و الكتابة و بالرغم من أن هذا التفرغ الكامل كان يسمح بأخذ نصيب وافر من الراحة كان يرف ذلك ...و في أغلب الأيام كانت هيئة التحرير تجتمع بعد الظهر لدراسة بعض النصوص الثورية ... و مع عودة المجاهد إلى تونس (أكتوبر 1957) عاد فانون إلى التوزع بين عمله في صحافة الثورة و مهنته في مستشفيات تونس و قد أمده مهنته بملاحظات مهمة استخلصها من تتبعه لحالات المجاهدين الجزائريين الذين كانوا يحالون بعد اصابتهم على المستشفيات التونسية و كانت حصيلة هذه الفترة هي كتاب الثورة الجزائرية في عامها الخامس و معظمه مقالات من أجل افريقيا ... »[12]

و على ما يبدوا أن كتابات الرجل التي سلط عليها الضوء كثيرا أو لنقل بعضها التي كتبت في مرحلة الثورة الجزائرية أو مرحلة ما بعد القناعة النهائية لفانون كما أشرنا سالفا فإن معظم التفسيرات و الدراسات التي حاولت حصر فانون في زاوية العنف أو أسلوب العنف دائما ما تغفل دور الثورة الجزائرية و التي تبنت هذا الأسلوب كخيار بعد استنفاذ الحركة الوطنية الجزائرية لكل الأساليب ، و الملاحظ أن انغماسهم في التركيز على هذا الجانب من زاوية واحدة متناسين عن قصد أو عن غير قصد ردة فعل الاحتلال الفرنسي حتى قبل اندلاع الثورة الجزائرية بسنوات إذ لابد أن لا نغفل أن من بدأ بهذا الأسلوب هو الاحتلال الفرنسية الذي رد ردا عنيفا على الجزائريين في الثامن من ماي 1945م و الذي غير من قناعة الجزائريين و قرروا فيما بعد تبني أسلوب العنف لاسترجاع سيادتهم هذا من جهة .

و من جهة أخرى نستنتج أن فانون و بعد التراكمية التي مر بها رأى في الثورة الجزائرية الحراك المناسب ضد تصرفات قوى الاستعمار فالتحق بها و عمل جاهدا و أضافت إليه العديد من القناعات و جذرتها ، و عملت على تجسيدها منها البعد الافريقي ، و تضامن و تظافر جهود حركات التحرر لأنه أدرك أن هناك تحالف بين قوى الاحتلال رغم مظاهر اختلاف المصالح.

و تركيز بعض الدراسات على هذا الجانب – أسلوب العنف – في فكر فانون تركيز فكري مجرد من الظروف الدولية و الانسانية و تراكمات المفكر غير صائب في الحكم الذي أطلق الرجل في عدة جوانب لأن فانون لمالاحظ حالات المرضى الجزائريين بعد التحاقه بمستشفى البليدة أدرك أشياء أخرى هي دراسات ثمينة في الجانب الفكري و لكنها قد تغرق في التفسير الفكري المجرد دون أن تربطه بتصرفات الواقع و هو ما أدركه فانون ففارق فيها عالم الأفكار المجردة لوحدها و المكوث فيه[13].

3) **اسهامات فانون في دفع الديبلوماسية الجزائرية في افريقيا:** آمن فانون بدور البعد الافريقي و الذي عولت عليه الثورة الزائرية منذ بدايتها إذ أشارت في بيان أول نوفمبر أن أحد أبعادها هو البعد الافريقي[14] و لكن ظروف الثورة الجزائرية و وضعيتها في المرحلة الأولى الممتدة ما بين سنتي 1954م 1956م لم تسمح بتفعيل هذا البعد إلا في جزئه المغاربي ، و لكن بعد سنة 1956م و ذياع صيت الثورة الجزائرية و تنظيم صفوفها و هياكلها أكثر و تدعيمها لأخرى ، يضاف إليها أسلوب و سياسة الجمهورية الفرنسية الخامسة بزعامة دوغول و التي عولت على قلب المعادلة مغاربيا و افريقيا على الجزائر ، و هو ما لم ينجح دوغول في تجسيده **«... و لعل اكتشاف الثورة الجزائرية للبعد الافريقي و انفتاح الآفاق الافريقية أمامها جعلها لبعض الوقت و تحت ضغط الظروف و بفعل تناقضات لا تملك أن تحلها بمفردها تفكر في القفز من وراء حدود المغرب العربي إلى افريقيا و المشرق العربي .... »**[15] .

إن هذا الكلام يدل على أهمية المجال الافريقي بالنسبة للثورة الجزائرية و هو ما أدركه فانون و عبر عنه في أكثر من موضع بجريدة المجاهد و مثال ذلك مقاله الذي حمل عنوان :" افريقيا السوداء أمام الاستعمار الفرنسي " و الذي أبرز فيه عمق العلاقات التاريخية الطبيعية بين الجزائر و جاراتها بلدان افريقيا جنوب الصحراء[16] .

و قد حققت الثورة الجزائرية لفانون ما كان يصبوا إليه إذ عينته سفيرا متنقلا و ممثلا لها في عدد من الدول الافريقية و كانت فرصته الأولى حين تم تعيينه في الوفد المشارك في مؤتمر آكرا سنة 1958م أين تمكن من التعرف على عدد من الزعماء الأفارقة كنكروما ز لومبا و موميه و بروبير توهلدن[17] ، و يقول فانون عن هذه المشاركة الأولى :**«... استقبل الوفد الجزائري الذي يتركب من خمسة أعضاء استقبالا حماسيا في أكرا و قد لاحظنا في آكرا أن الأوجه الكبيرة للثورة الجزائرية بن بلة و بن المهيدي و جميلة بوحيرد دخلت الملحمة الافريقية ... و قد خصصت مكانة ممتازة لأعضاء وفدنا إذ عين أحدنا في اللجنة الادارية للمؤتمر و انتخب الآخرون كل لرئاسة أو نيابة عدة لجان ... »**[18]

ان هذا الاحتكاك الأول و الحقيقي بين فانون و الكتلة الافريقية جعلت الرجل يتعرف على حجم و صيت الثورة الجزائرية داخل هذه الكتلة بالرغم من وضعية الاحتلال الفرنسي ، و مكنته من التعرف على الشخصيات الذي ذكرناها آنفا و نسج علاقات معها و مع أخرى في الفضاء الافريقي الذي كان فانون يرغب دائما في العمل فيه و تحريكه ، و منحته فرصة التحرك ضد الاحتلال في افريقيا و الوقوف على المزيد من حقائق الميدان ، و مكنته جولاته في افريقيا كذلك من نشر افكاره و خاصة بعد مشاركته في مؤتمر الشعوب الافريقية سنة 1960م متحدثا بإسم الديبلوماسية الجزائرية و واصل الرجل عمله الحثيث في هذا المجال إلى آخر حياته[19] و هو ما جعله يسعى لتجسيد مشروع الجبهة الجنوبية انطلاقا من الحدود الجنوبية للجزائر.

4) **وضع خطة انشاء الجبهة الجنوبية و السعي لتطبيقها على الميدان** : إن هذا الموضوع الذي تحدثنا عن ضبط المصطلح فيه في البداية موضوع شحيح المادة المصدرية و التوثيقية لعدة أسباب ، و تغفل الكثير من الكتابات التي تتناول شخصية فانون دوره في هذا الجانب لا بل و اسهامه في انشاء هذه المنطقة أو فتح هذه الجبهة التي تمكن الثورة الجزائرية من تجسيد بعدها الافريقي و الانفتاح عليه ، و قد حسمت شهادة محمد الشريف مساعدية في موضوع الدور الأساسي لفانون في انشاء الجبهة الجنوبية قائلا: **«...كان لابد من ارسال بعثة إلى الجنوب و إلى الدول المجاورة لنا على الحدود ، و كانت هذه البعثة من الدكتور فرانس فانون و الضابط فرحات من الجنوب الجزائري و كان لدينا مجموعتان واحدة إسمها مجموعة العمل و الأخرى مجموعة الاتصال و تم تكليف هذه الأخيرة بعمل اتصالات و اختير الدكتور فارانس فانون لأنه كان على بالمفكرين الأفارقة و بكثير من الاطارات الافريقية و قد ساعدنا على ذلك حصول غينيا و مالي على الاستقلال باعتبارهما تذوقا مرارة الاستعمار ...»** [20]

ان شهادة مساعدية تركت بما لا يدع مجالا للشك أن الثورة الجزائرية عولت في المقام الأول على جهود فانون و امكانيات الاتصال التي لديه و التي تحدثنا فيما سبق عن كيفية تكوينها و خاصة في الإطار الجغرافي المحيط بمجال الجبهة المزمع فتحها من قبل الثورة الجزائرية ، فقد مهد و وضع الأساس لها كما سنرى ، و لكن غير المفهوم عدم تركيز الدراسات على دور فانون في هذه الجبهة و خاصة أن المصادر التي وصلت إلى أيدينا إلى حد الآن تبرز الدور الرئيسي في تجسيد المشروع و خطواته لفانون.

«... و في مارس 1960 عين فانون ممثلا للجزائر في أكرا و خلال اقامته هناك لاحظ وجود إمكانية أخرى لتدعيم الداخل عن طريق حدود مالي ، و لذلك إتصل بالمسؤولين في مالي و قدم كل اقتراحاته بشأن هذا الموضوع إلى المسيرين الجزائريين الذين قرروا انشاء قاعدة ثالثة جنوب الصحراء... »[21]، و هذا الكلام له دلالات كبيرة و الحقيقة أني لا أوافق الذي ذهب إليه الدكتور مقلاتي عبد الله و الذي توصل إليه من خلال مقارنته للشهادات[22] ، و الملاحظ و كأنها محاولة عدم نسب الفكرة إلى فرانتز فانون مع ترك هامش من خلال عدم الجزم بذلك في حين أن رأيي هذا لا يعني انتقاصا من العمل الممتاز الذي قام به الباحث مقلاتي في موضوع مادته المصدرية شحيحة ، و لكن منطلق رأيي أن شهادات هؤلاء الذين كانوا أقل رتبة و قربا من دوائر صنع القرار في الثورة الجزائرية أقل و أبعد من

فانون و العقيد هواري بومدين و عبد العزيز بوتفليقةو أحمد درايا و عبد الله بلهوشات و محمد الشريف مساعدية و هؤلاء لم يكتبوا مذكراتهم و لم يتركوا لنا شيئا مكتوبا إذا استثنينا مساعدية من خلال الشهادة التي أشرنا إليها آنفا و فانون الذي كان مفكر و يكتب أصلا و من هذا المنطلق لا يمكن أن نتخذ أو نبني رأيا مؤكدا أو حكما بناءا على شهادات من هم أبعد عن دائرة القرار خاصة أن الموضوع كان سري و حساس.

و تعتبر الشهادات من بين أهم مصادر المادة العلمية بالنسبة للتاريخ و تعد مكملة و موضحة للمعلومات التي قد تستنتج من الكتب و الوثائق و الشهادات توضع في ميزان من الأعلى إلى الأسفل أي من الأعلى رتبة و الأقرب من دائرة صنع القرار إلى الأقل لأن بعض الأمور تتطلب السرية و الأقل رتبة قد لا يبلغ من قبل مرؤوسه بكل ما يتعلق بمهمة ما ، و قد يعطيه جزء من المعلومة في حدود المهمة التي قد يكلفه بها ، ما يعني أنه قد لا يكون على علم بكامل الاستراتيجية و كثيرة هي المواطن التي تشبه هذا في تاريخ الثورة الجزائرية تجعل الباحث يبذل مجهودا مضاعفا .

المتصفح كتاب من أجل افريقيا يلاحظ بين طياته المخطط الذي كتبه فانون في بعض المذكرات مع مجموعة الملاحظات مع مجموعة من الملاحظات الفنية و التقنية التي تخص هذه الجبهة حيث يقول فانون:**«... تحريك افريقيا و الاعانة على تنظيمها و تجميعها وراء المبادئ الثورية و المساهمة في حركة القارة هذا هو العمل الذي اخترته نهائيا و قد كانت قاعدة الانطلاق الأولى هي غينيا ثم تقدم مالي بحماسة و استعداده لكل شيء »**[23]، ما يلاحظ أن فانون أشار إلى بداية التجسيد من غينيا و كلامه يدل على حماسة و قناعة بالفكرة مبرزا استعداد مالي للدعم اللامحدود ما جعل المشروع يركز على مالي بداية .

يقول فانون كذلك عن الهدف الأساسي : **:«...إن مهمتنا هي فتح جبهة الجنوب من باماكو يجب توجيه الأسلحة و الذخيرة يجب تحريك سكان الصحراء و اثارتهم و التسرب من هناك إلى النجود الجزائرية »**[24]و لتجسيد هذه المهمة انتقل هو و مرافقه برا بعد أن كادت الرحلة في الطائرة أن تؤدي إلى اعتقالهم بعد أن تعرف عليهم أو شك في أمرهم مجموعة من عناصر المصالح الفرنسية كانوا يعملون في الخطوط الجوية الفرنسية ليضطروا حيطة و حذرا للتنقل برا من كوناكري إلى بماكو ، إن هذا التنقل برا في تلك الظروف الخطيرة و يشير فانون إلى أنه بمجرد وصولهم إلى بماكو حتى حصلوا على التسهيلات الازمة للبداية بالعمل و كانت البداية بتنصيب جهاز للاتصال اللاسلكي في كايس و اتجه من بماكو إلى عدة مناطق للمعاينة و للشروع في العمل من أهمها منطقة "غاو"[25] .

و المهم في مدينة غاو يشير فانون إلى حصوله على قائمة بأسماء الجزائريين المتواجدين في المنطقة تسهل عملهم أكثر حيث يقول في هذا الصدد **:«... و قد وجدنا في "غاو" أرشيفا كاملا تركته المخابرات الفرنسية على الحدود الجزائرية و هي تشتمل على أسماء كل الجزائريين الذين يعيشون في المنطقة ،كما تنص على مواقفهم من الافكار الوطنية و بسهولة وجدنا أساسا نستطيع أن نبني عليه عملنا... »**[26]، ما يعني أن القوة البشرية التي ستعتمد عليها الجبهة موجودة و جاهزة و معروفة و ينقص الاتصال بها .

و واصل فانون تنقله فمن غاو توجه نحو أقيلهوك التي يذكر فانون أنه التقى فيها بكل من رئيس قسمة كيدال و معه رئيس مركز تساليت و تمت مناقشة قضية المواصلات ، و استمر فانون عمله إلى أن بلغ تين زواتين و الحدود الجزائرية و وضعية القوات الفرنسية بل تجاوز ذلك حين قال فانون : **«...و قد تمكنا من أن نعرف من وراء المعلومات التي اتصلنا بها و صعبة القوى الفرنسية في تامنراست و ما وراءها...»**[27]

إن كل هذا الجهد الذي قام به فانون و التنقل عبر آلاف الكيلوميترات برا في طرق غير معبدة في آفاق مفتوحة و خطيرة تسيطر عليها قوات الاحتلال الفرنسي ، و كل الاتصالات التي قام بها يجعل من المنتقص من مجهود الرجل متحيزا بغير منطق ، فقد أنهى الرجل كلامه بإشارات فنية ساعدتنا على استقراء و فهم ما ورد في بعض وثائق

الجبهة الجنوبية التي وقعت بين أيدينا لبعض القيادات المحلية التي عملت في إطار هذه الجبهة في تامنغست ، و قد حدد فانون مشكلة تحدد الهدف و أعطى ثلاث خيارات هي كما قال حرفيا :

«...المشكل الأساسي هو معرفة الهدف :

أ-إما تزويد القوى الموجودة بعد في الصحراء

ب- و إما تزويد الولايتين الخامس و ما تبقى من السادسة

ج- و إما انشاء سلسلة من خطوط الهجوم تسير في اتجاه عمودي بالنسبة للأطلس التلي ، سلسلة يمكن أن تتصل و تعمل عملا منسقا مع الولايات الموجودة...»[28]

فبرغم ميل فانون للخيار الأخير "ج" إلا أنه أشار إلى إمكانية تحقيق الأهداف الثلاثة مجتمعة و لكنه نوه من خلال ملاحظاته و وقوفه على حقائق الميدان من خلال ملاحاظاته و وقوفه على حقائق الميدان إلى ضرورة اعطاء الأولوية لواحدة منها فقط ، و أشار إلى ضرورة نقل أكبر كمية من السلاح و أشار كذلك إلى ضرورة تشكيل فرق صغيرة خفيفة الحركة في البداية تتكون من عشرين(20) أو خمس و عشرين (25) عضوا و قال فانون : **«... التجنيد يكون في البداية محليا »**[29].

و أشار فانون إلى مراحل لا يجب حرقها و التسرع إذ لا يجب الهجوم في المرحلة الأولى التي تخصص للتدريب و نقل السلاح و تسريب المقاتلين إلى داخل الجزائر و لا يتم الهجوم حتى و لو كانت الفرصة سانحة والهجوم مضمون النتائج[30].

ان الحديث عن مجهود هذا الرجل في انشاء الجبهة و وضع مخطط عملها قد يطول و لا تسعه هذه الأسطر لكن الموضوع يستحق البحث و التنقيب و ما هي الا التفاتة لجانب من زوايا هذا المناضل و المفكر تضاف إلى ما يمكن أن يطلع عليه الباحثون ربما في المستقبل إذا فتح أمامهم أرشيف هيئة أركان الذي يحتوي وثائق هامة في هذا الشأن من شأنها أن تفتح آفاقا بحثية جيده أمام الباحثين ، و الأمر الإيجابي أن فانون كان يكتب و قد يلاحظ القارئ أني أكثرت من الاقتباس لأني أحيانا أحببت أن أنقل الفكرة و الكلام معا و أفسر و أحلل علني حتى و لو أخطأت في هذين الأمرين الأخيرين و هذا أمر طبيعي يمكن أن يرد أكون قد نقلت له مصدرها خاصة أن بعض الكلام المقتبس يدعم الفكرة و يوضح أصلها لهذا أختم بكلام الميلي عن فانون «...لكن المرض لم يمكنه من اتمام عمله كما كان يريد و من التأكد من صحة كل ما سجله لقد بدأ سباقه مع الموت لابد أن يقذف بأفكاره على الورق بسرعة قبل أن يلفظ نفسه الأخير ...إنه ما انفك يشعر بأن حياته يجب أن تكون بأن حياته يجب أن تكون وقفا على خدمة قضية ما فليكن آخر ما يكتبه موجها إلى العالم الثالث حتى يفيد منه معذبوا الأرض ... »[31]

الملحق :

1961.12. 11

3

الفقيد الدكتور فانون

العنف للقضاء على الاستعمار .. فدس المبادئ التي اعتنقها الى درجة ان طبعها في حياته ، ولم يجعلها مجرد نظريات يحلو معها نون،المجتمع طبعها رغم ما تعرضه له من متاعب كان في غنى عنها كطبيب نفسي ناجح، وككاتب شاب لامع امامه مستقبل ملىء بالاضواء والآمال ..

لكن ذلك الشاب الذي انشأته ارض المارتينيك رفض التزييف .. رفض تزييف شخصيته ورفض ان يعيش في جو مزيف .. قالوا له : انك فرنسي لان ارض المارتينيك فرنسية .. لكنه عاش في ليون وشاهد الفارق بين فرنسيه وفرنسيه الآخرين لم يشاهده في مظهر البشرة المختلف ، ولكنه فيما هو اخطر ، فيما وراء البشرة من نظرات وسلوك عملي ..

هذا الرفض للتزيف ، وهذا الاختيار للطريق الاصعب : طريق الصراحة والنظرة السليمة هو الذي قاده الى الثورة الجزائرية : لانه فهم بحاسيته المرهفة ، وبفكيره العميق ان ثورة الجزائر ليست حركة وطنية محلية ولكنها حركة تنتشر افقيا فتؤيد وتتضامن مع كل ارض يهما معركة ضد الاستعمار ومع كل نفس ترفض الاستعمار وتمتد عموديا فتحارب كل رواسب الاستعمار والتخلف الرجعي .. لذلك ارمى فيها من غير تردد.. وخدمها بقلمه وفكره وساعده الى ان قضى نحبه ، خدمها في البليدة، حيث كان مديرا لمستشفى الامراض العقلية ، يتسمع مع مناضلي اجبهة في كل المهام التي تفرضها ضرورة الكفاح على مناضلي اجبهة من العمل بالجرحى الى حمل السلاح الى ايواء القادة اثناء تنقلاتهم ، وخدمها محررا في « المقاومة الجزائرية » ثم في « المجاهد » .. وخدمها رئيسا لبعثة الحكومة الجزائرية في غانا حيث وجد مرتعا خصبا لنشاطه الفياض وعلاقاته المتحمسة بالوحدة الافريقية .. وخدمها بما خلفه في كتابيه: « العام الخامس للثورة الجزائرية » و « ملاعين الارض » ..

ذلك هو الدكتور فانون في ملامحه العامة .. فانون الذي حسره التفكير الافريقي ، وفقدته الثورة .. فانون الذي توفي ولما يكتمل الاربعين مصابا بمرض اعيى علاجه .

ولنا عودة الى فانون بوصفه من حملة مشعل التفكير الثوري

رجل في مظهره هدوء وفي داخله غليان مستمر .

انيق اللباس ، لطيف الحركة، لكنه متواضع عن ايمان : لانه اعتنق الاشتراكية وآمن بها مصيرا افضل لكل الشعوب ، مثلما آمن بالوحدة كاضمن طريق لشعوب افريقيا مرهف الحساسية، لكنه مؤمن بضرورة

فانون في جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني

الهوامش :

1- محمد الميلي ، **فرانز فانون و الثورة الجزائرية** ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2010

2- مالك بن نبي ، **فكرة الافريقية الآسيوية** ، دار الوعي ، الجزائر ، 2012، ص31-54.

3- عبد القادر بن اعراب ، **فرانز فانون رجل القطيعة** ، ترجمة عبد السلام يخلف ، دار بهاء الدين ، الجزائر ، 2013.

4- الميلي ، المصدر السابق ، ص25.

5- أنظر الملحق

6- الميلي ، المصدر السابق ، ص23.

7- نفسه ، ص23-24.

8- نفسه ،ص 167.

9- أنظر الملحق

10- الميلي ، المصدر السابق ، ص198.

[11] - ALMIN MAZRUI ," Language and the quest for liberation in Africa- the legacy of FRANTZ FANON" , third world Quqrterly ,Vol 14m , N 02, 1993, p351.

أنظر : فرانز فانون ، **العام الخامس للثورة الجزائرية** ،دار الفرابي بيروت ، المؤسسة الوكنية للنشر و الاشهار ، الجزائر ،2004

12- الميلي ، المصدر السابق ، ص 25-26.

13- أنظر الملحق

14- أنظر بيان أول نوفمبر 1954.

15- محمد الميلي ، **مواقف جزائرية** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص188-189.

16- المجاهد ، ع 18، الصادر في 1958/02/15.

17- الميلي ، المصدر السابق ، ص28.

18- فرنتز فانون ، **من أجل افريقيا** ، ترجمة محمد الميلي ن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،د.ت ، ص154 ، أو أنظر : المجاهد ، ع34، الصادر في 1958/12/24

19- الميلي ، المصدر السابق ، ص28-29.

20- أنظر شهادة محمد الشريف مساعدية في: عبد السلام بوشارب ، **الهقار أمجاد و أنجاد** ، الجزائر ، 1995، ص 129-139.

21- فانون ، المصدر السابق ، ص183-184.

22- عبد الله مقلاتي ، **الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية و دورها الاستراتيجي إبان الثورة التحريرية** ، وزارة الثقافة ، الجزائر ،د.ت، ص34-35.

23- فانون ، المصدر السابق ، ص 184.

24- نفسه ، ص187.

25- نفسه ، ص191.

26- نفسه ، ص191.

27- نفسه ، ص192.

28- نفسه ، ص195.

29- نفسه ، ص 196.

30- نفسه ص 197.

31 الميلي ، **فرانز فانون و الثورة** ، المصدر السابق ، ص 29.